العقيدة الميسرة
من الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهَّرة

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م

العقيدة الميسرة

من الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهَّرة

تأليف

أ. د. أحمد بن عبد الرحمٰن القاضي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم (سابقاً)





مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله، وحده لا شريك لـه، القائل سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: ٢]. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي امتنّ الله على عباده ببعثته، فقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤] **أما بعد:**

فإنَّ الله تعالى أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى، ودين الحق، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال المبين إلى الهدى التام، الذي به انشراح الصدور، وطمأنينة القلوب؛ فإن ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠] هو العلم النافع، و﴿دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩] هو العمل الصالح، وعلى هذين الركنين العظيمين تقوم الحياة الطيبة.

وقد ضمَّن الله تعالى كتابه العزيز كافة ما يحتاج إليه العباد في عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وأخلاقهم، وجاءت السُّنَّة المطهَّرة تبياناً لما أجمل، وتفسيراً لما أبهم، وتفصيلاً لما عمم؛ كما قال ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[١]، رواه أبو داود.

والعقيدة الإسلامية عماد هذا الدين، وقاعدته، وسر قوته وظهوره على الدين كله؛ لما تتضمنه من الخصائص الفريدة، **ومنها:**

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٤٦٠٤)، وصححه الألباني.

أولاً: التوحيد لله تعالى بالعبادة، وللنبي ﷺ بالاتباع.

ثانياً: التوقيف، فهي ربانية المصدر؛ لا يتجاوز فيها القرآن والحديث، ولا تستمد من رأي أو قياس.

ثالثاً: موافقة الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها قبل أن تجتالهم الشياطين.

رابعاً: موافقة العقل الصريح، السالم من الشبهات والشهوات.

خامساً: الشمول: فلا تدع جانباً من جوانب الكون والحياة والإنسان إلا بيَّنته.

سادساً: التشابه: فبعضها يصدق بعضاً، فلا تناقض، ولا تفاوت في مفرداتها.

سابعاً: الوسطية: فهي ميزان الاعتدال بين الإفراط والتفريط بين مختلف المقالات.

وقد أثمرت هذه الخصائص **الثمار التالية**:

أولاً: تحقيق العبودية لربِّ العالمين، والتحرر من الرق للمخلوقين.

ثانياً: تحقيق الاتباع لرسول ربِّ العالمين، والانعتاق من البدعة والمبتدعين.

ثالثاً: الراحة النفسية، والطمأنينة القلبية، بالصلة بالخالق المدبر الحكيم.

رابعاً: القناعة الفكرية، والاطراد العقلي، والسلامة من التناقض، والخرافة.

خامساً: تلبية حاجات الروح وحاجات الجسد، والتكامل بين الاعتقاد والسلوك.

ولم يزل علماء الملة يولون العقيدة هَمَّهم، ويبذلون في تعليمها وتقريرها جهدهم، ويصنفون في ذلك المتون المختصرة، والشروح المطولة، تارة في بيان مجمل اعتقاد السلف، وتارة في بيان مسألة معينة، وأخرى في الرد على

أهل الأهواء والبدع المضلة. وقد رأيتُ تقريب مسائل الاعتقاد، وترتيبها على نسق الترتيب النبوي لأصول الإيمان الستة، المذكورة في حديث جبريل المشهور، معتمداً على نصوص الوحيين فقط: الكتاب العزيز، والسُّنَّة المطهرة، جاعلاً تحت كل أصل ما يتضمنه من مفردات، مذيلاً إياه ببيان من ضلَّ في ذلك الباب، والرد عليه دون إطناب.

فجاءت هذه العقيدة وسيطة بين الإطالة والاختصار، واتسمت بالوضوح واليسر، ليتمكن آحاد المسلمين من الانتفاع بها، وتحصيل المقصود من الإلمام بمجمل اعتقاد السلف بعبارة سهلة، وترتيب موضوعي، وسميتها: (**العقيدة الميسرة من الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهَّرة**).

واللَّه أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، نافعاً لعباده
وصلى اللّه وسلم على نبِّينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه
أ. د. أحمد بن عبد الرحمٰن القاضي
عنيزة في: ١٧/ ٢/ ١٤٢٧هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

العقيدة الميسرة
من الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهَّرة

أساس العقيدة الإسلامية هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩]

وقال ﷺ لجبريل عليه السلام لما سأله عن الإيمان: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١)، رواه مسلم.



(١) أخرجه مسلم برقم: (٨).

الإيمان بالله

هو الاعتقاد الجازم بوجوده سبحانه، وأنه رب كل شيء، المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، المتصف بصفات الكمال، المنزه عن صفات النقص.

فيتضمن الإيمان بالله **أربعة أمور**:

أولاً: الإيمان بوجوده:

وجوده سبحانه أحق الحق، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: ٦]، والشك في وجوده بهت ونكر، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وجحد وجوده كِبر وكُفر، قال تعالى عن موسى مخاطباً فرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٣ ـ ٢٩].

وقد دلّ على وجوده سبحانه أمور، **منها**:

١ ـ **الفطرة السليمة**: وهي ما جُبل عليه ابن آدم من غير سبق تعليم، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠]، وقال ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ**

أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[١]، رواه البخاري ومسلم. وفي رواية عند مسلم: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَهُوَ عَلَى الْمِلَّةِ»[٢]، وفي رواية عنده: «إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْمِلَّةِ، حَتَّى يُبَيِّنَ عَنْهُ لِسَانُهُ»[٣]، وفي رواية أخرى عنه: «لَيْسَ مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْفِطْرَةِ، حَتَّى يُعَبِّرَ عَنْهُ لِسَانُهُ»[٤].

فكل مخلوق باقٍ على فطرته الأصلية، يجد في نفسه الإيمان بوجود الله، إلا أن يطرأ على تلك الفطرة ما يفسدها، قال تعالى في الحديث القدسي: «وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ»[٥]، رواه مسلم.

وربما ران على الفطرة حجاب من الشبهات والشهوات، لكنها تظهر على حقيقتها في أوقات الشدائد والأزمات، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥].

٢ ـ **العقل الصريح**: وهو السالم من الشبهات والشهوات، فإنه يقطع بأن المخلوقات لا بد لها من خالق؛ لأنها لا يمكن أن توجد صدفة بدون خالق، ولا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، فالعدم لا ينشئ وجوداً، فلا بد من خالق موجِد، وهو الله سبحانه.

ولما قدم جبير بن مطعم على رسول الله ﷺ في فداء أسرى بدر، وكان إذ ذاك مشركاً، سمع النبي ﷺ، يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥، ٣٧] قال: «كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ»[٦]، رواه البخاري، وكان ذلك أول ما دخل الإيمان في قلبه.

وقد استدل بصراحة العقل خطيب العرب في الجاهلية، قُسُّ بن ساعدة

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٣٥٨)، ومسلم برقم: (٢٦٥٨)، واللفظ للبخاري.
(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٣).
(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٣).
(٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٣).
(٥) أخرجه مسلم برقم: (٢٨٦٥).
(٦) أخرجه البخاري برقم: (٤٨٥٤).

الإيادي، فقال: «البعرةُ تدلُ على البعيرِ، والأثرُ يدلُ على المسير، فسماءٌ ذاتُ أبراجٍ، وأرضٌ ذاتُ فِجاجٍ، أفلا تدلُ على العليمِ الخبيرِ»[1].

٣ ـ الحس المشهود: قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] وله صور متنوعة، منها: آيات النبيين، وكرامات الأولياء والصالحين، وإجابات الداعين.

قال تعالى عن نبيِّه نوح عليه السلام: ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٠ ـ ١٤]، وقال: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الشعراء: ٦٣ ـ ٦٧]، وقال تعالى عن نبيِّه عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩].

وجرى أمثال ذلك لنبيِّنا محمد ﷺ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَجُلاً، دَخَلَ المَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ القَضَاءِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِماً، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعْتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا**»، قَالَ أَنَسٌ: وَلَا وَاللهِ، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلَا قَزَعَةً وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلَا دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلَا وَاللهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتّاً، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) انظر: البيان والتبيين، للجاحظ (١/ ١٦٣).

قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِماً، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**» قَالَ: فَأَقْلَعَتْ، وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ[1]، متفق عليه.

وقال الله ﷻ على سبيل العموم: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]؛ فآيات المرسلين، وإجابة الداعين، وغوث المكروبين: أدلة محسوسة، أدركها فئام من الناس، تشهد بوجود مُرسِلهم، ومجيبهم، ومغيثهم سبحانه، شهادة يقين.

٤ ـ **الشرع الصحيح**: وهو ناطق الكتاب، وصحيح السُّنَّة، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١]. فما تضمنه القرآن العظيم من الأخبار الغيبية المتحققة، والعقائد الصحيحة، والشرائع العادلة، والأخلاق القويمة دليل على أن ذلك من عند الله، ولا يمكن أن يكون من عند غيره من المخلوقين.

ولهذا لم ينكر وجود الله حقيقة أحد من بني آدم، وإنما تظاهر بذلك أصناف من الملاحدة قديماً وحديثاً، **مثل**:

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٠١٤)، ومسلم برقم: (٨٩٧)، وقوله: (قَزَعة)؛ أي: سحاب متفرق، و(سَلْع): جبل معروف في المدينة، وقوله: (مثل الترس) قال القرطبي: (تشبيه السحابة بالترس في كثافتها واستدارتها). انظر: المفهم، للقرطبي: (٢/٥٤٣)، وفتح الباري، لابن حجر: (٣/٣٦٢ ـ ٣٦٣).

١ ـ **الدهريون**: وهم الفلاسفة الدهرية القائلون بقدم العالم وخلوده، ويشابههم في هذا العصر من يسمون (الملاحدة الجدد)، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]؛ فيزعمون أن العالم يسير بنفسه، وأنه لم يزل ولا يزال! ويقولون: بطون تدفع، وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر! فعطّلوا المخلوقات عن خالقها. وقد ردّ الله عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ لا من عقل، ولا نقل، ولا حس، ولا فطرة؛ بل محض تخرُّص وتوهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤].

٢ ـ **الطبائعيون**: القائلون: إن العالم وجد بفعل (الطبيعة) أي: أن ذوات الأشياء؛ من نبات، وحيوان، وجماد، وخصائصها، أوجدت نفسها وحركاتها! والرد عليهم بدهي: وهو أنه يمتنع أن يكون الشيء خالقاً ومخلوقاً في آنٍ واحد، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥].

والطبيعة التي يسندون إليها الإيجاد جملة جمادات؛ صماء، عمياء، بكماء، لا مشاعر لها ولا إرادة، فكيف تنشئ مخلوقاتٍ حية؛ تسمع، وتبصر، وتنطق، وتحس، وتشعر بالألم والأمل؟! ففاقد الشيء لا يعطيه.

٣ ـ **الصُّدْفيون**: القائلون بأن الكائنات نشأت عن طريق المصادفة المحضة! بمعنى: أن تجمُّع الذرات والجزيئات أدّى عن طريق الصدفة إلى ظهور الحياة، وتكوُّن المخلوقات المتنوعة بلا تدبير ولا إحكام مسبق! ومجرد تصور هذه الدعوى يكفي لإسقاطها وتهافتها، فإن دقة الخلق، ونظامه البديع، واستمراره على سنن مطردة، وتوازن محكم، يمنع دعوى الصدفة، قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

٤ ـ **الشيوعيون**: وهم أتباع كارل ماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣م) القائلون: «لا إلٰه، والحياة مادة». ولما أسسوا دولتهم (الاتحاد السوفييتي) على هذا الجرف الهاري، والاعتقاد الباطل، انهارت في زمن قصير، وتفككت إلى دويلات متعددة.

٥ ـ **أفراد شواذ**، على مر التاريخ؛ كفرعون الذي تظاهر بإنكار الرب، فقال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٣]، ثم ادعى ذلك لنفسه، فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤] ثم تمادى فادعى لنفسه الألوهية، فقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وتوعد موسى عليه السلام فقال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٩]. وكالنمرود الذي حاج إبراهيم في ربه: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وكل هؤلاء مناقضون لأنفسهم، متنكرون لفطرهم، كما شهد الله بذلك عليهم، بقوله: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤]، ولهذا لم تقم لهم قائمة، ولم تبق لهم باقية.

ثانياً: الإيمان بربوبيته:

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى وحده هو الرب؛ الخالق، المالك، الآمر، ومعنى الرب: السيد، المالك، المتصرف، الذي ربّى جميع العالمين بنعمه، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٤٩، ٥٠].

فمدار الربوبية على **ثلاثة أمور**:

١ ـ **الخلق**: فالله خالق كل شيء، وما سواه مخلوق، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢].

وكلُّ خلق أضيف إلى غيره فهو خلق نسبي؛ بمعنى: التشكيل والتأليف والتصوير، لا الإنشاء من العدم؛ كقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤].

٢ ـ **الملك**: فالله المالك، وما سواه مملوك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ

ﵟاللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧ﵞ [البقرة: ١٠٧]، وقال: ﵟوَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٨٩ﵞ [آل عمران: ١٨٩] وقال: ﵟقُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُﵞ [آل عمران: ٢٦]، وقال: ﵟوَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِﵞ [الإسراء: ١١١]، وقال: ﵟذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ﵞ [فاطر: ١٣].

وكلُّ ملك أضيف إلى أحد سواه فهو ملك نسبي، مؤقت، جزئي، كما في قوله: ﵟيَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِﵞ [غافر: ٢٩]، وقوله: ﵟأَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚﵞ [النساء: ٣]. وأما الملك التام المطلق فهو لله ﷻ وحده، قال تعالى: ﵟإِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٤٠ﵞ [مريم: ٤٠].

٣ ـ الأمر: فالله الآمر، وما سواه مأمور، قال تعالى: ﵟقُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗﵞ [آل عمران: ١٥٤] وقال: ﵟأَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ﵞ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﵟوَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠ﵞ [البقرة: ٢١٠]، وقال لنبيِّه: ﵟلَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌﵞ [آل عمران: ١٢٨] فكيف بمن دونه؟ وقال: ﵟلِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚﵞ [الروم: ٤] فهو الآمر وحده في خلقه.

وكلُّ أمرٍ أضيف إلى غيره؛ كقوله: ﵟفَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧ﵞ [هود: ٩٧] فهو أمر نسبي، داخل تحت مشيئته؛ إن شاء أمضاه، وإن شاء منعه.

وأمره سبحانه يشمل الأمر الكوني والشرعي، فأما الكوني فنافذ لا محالة، وهو مرادف للمشيئة، قال تعالى: ﵟإِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢ﵞ [يس: ٨٢]. وأما الشرعي فهو محل الاختبار، وهو مرادف للمحبة، فقد يقع وقد لا يقع، وكل ذلك داخل في عموم مشيئته، كما قال: ﵟلِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩ﵞ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

وبقية صفات ربوبيته سبحانه ترجع إلى هذه الأمور الثلاثة: الخلق، والملك، والأمر؛ كالرِّزق، والإحياء، والإماتة، وإنزال الغيث، وإنبات

الأرض، وتصريف الرياح، وإجراء الفلك، وتعاقب الليل والنهار، والحمل، والوضع، والصحة، والمرض، والعز، والذل، وغيرها.

وهذا الإيمان بربوبيته سبحانه مركوز في الفطر، مدرك ببداهة العقول، محسوس في الكون، موفور في النصوص، ومن دلائل ذلك في كتاب الله:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٥ ـ ٩٩].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد: ٢ ـ ٤].

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ٣ ـ ١٨].

﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون: ١١ ـ ٢٢].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: ٤٣، ٤٥].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٥ ـ ٥٤].

وقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ

أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ١٧ ـ ٢٧].

وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٢٥].

وقوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ: ٦ ـ ١٦].

وقوله: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣٣].

وقوله: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢].

وعامة بني آدم مُقِرُّون من حيث الجملة بربوبية الله تعالى؛ بأنه الخالق، المالك، المدبر، حتى مشركي العرب، حكى الله عنهم هذا الإقرار، في مواضع من كتابه؛ كقوله: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ

ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]، وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩].

وإنما وقع في هذا الباب ضلال جزئي، من قبل طوائف متعددة، أشركوا في الربوبية، **مثل**:

١ ـ **الثنوية، والمانوية، من المجوس**: القائلون بأن للعالم خالقين: إلٰه النور؛ يخلق الخير، وإلٰه الظلمة؛ يخلق الشر! وهم متفقون على أن النور خير من الظلمة، ومختلفون في الظلمة؛ هل هي قديمة أم محدثة؟

٢ ـ **النصارى**: القائلون بالتثليث؛ فيجعلون الإلٰه الواحد ـ بزعمهم ـ ثلاثة أقانيم: الأب، والابن، وروح القدس. ولكنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب، ينفصل بعضهم عن بعض؛ بل متفقون على أن صانع العالم واحد.

٣ ـ **بعض مشركي العرب**: الذين يعتقدون في آلهتهم شيئاً من النفع والضر والتدبير، ويستقسمون بالأزلام.

٤ ـ **القدرية النفاة**: القائلون: العبد يخلق فعل نفسه خلقاً مستقلّاً عن الله.

وكل هذه الضلالات مدفوعة بدلالة الفطرة، والعقل، والحس، والشرع على وحدانية الرب سبحانه في خلقه، وملكه، وأمره، قال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون: ٩١]؛ فالإلٰه الحق لا بد أن يكون خلاقاً، فعالاً لما يريد، فلو كان معه شريك لكان يخلق ويفعل، وحينئذٍ لا يخلو الحال من **أحد احتمالين**:

- إما أن يذهب كل إلٰه بخلقه، ويستقل بسلطانه: وهذا الاحتمال يأباه انتظام العالم.
- وإما أن يقع بينهما مغالبة واستعلاء: فلو أراد أحدهما تحريك جسم،

وأراد الآخر تسكينه، أو أراد أحدهما إحياء شيءٍ، وأراد الآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد أيٍّ منهما، والأول والثالث ممتنعان؛ لأنهما نقيضان؛ لا يجتمعان، ولا يرتفعان، فتعيَّن الثاني؛ فمن حصل مراده فهو الإلٰه القادر، والآخر لا يصلح للإلٰهية. فآل الأمر إلى إثبات ربٍّ واحد؛ خالقٍ واحد، وملكٍ واحد، ومدبر واحد، وهذا ما يعرف بدليل التمانع.

❂ ثالثاً: الإيمان بألوهيته:

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو الإلٰه الحق، المستحق للعبادة دون ما سواه. فإن معنى (الإلٰه): المألوه؛ أي: المعبود، الذي تألهه القلوب محبةً، وتعظيماً.

وحقيقة العبادة: كمال المحبة، مع كمال التذلل، والخضوع، والتعظيم؛ وذلك لا يكون إلا للإلٰه الواحد، وقد جاءت بهذا الإيمان أعظم شهادة، من أعظم شاهد، في أعظم مشهود به، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقد خلق الله جميع خلقه؛ إنسهم، وجنّهم، لعبادته وحده، مع كمال غناه عنهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧]. وبعث جميع رسله إلى الناس ليحققوا هذا الإيمان، ويدعونهم إلى إفراده بالعبادة، ونبذ الشرك، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، فبادؤوا أقوامهم بالقول: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وتحقيق هذا الإيمان يقتضي صرف جميع أنواع العبادات لله وحده، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر، **وهي أصناف:**

١ ـ العبادات القلبية: كالمحبة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، والخوف، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]، والرجاء، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

وهذه الثلاث هي أمهات العبادات القلبية، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]. ولا يقتصر على بعضها دون بعض؛ فمن عَبَد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عَبَد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عَبَد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عَبَد الله بالحب والخوف والرجاء فهو الموحد الحنيف.

وصلاح القلب أصل صلاح الجسد، كما في الحديث: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[1]، متفق عليه.

٢ ـ العبادات القولية: كالدعاء، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، والاستعاذة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق: ١]، وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الناس: ١]، والاستغاثة، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، والذكر بأنواعه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب: ٤١]، والتلاوة، قال تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وعموم الكلم الطيب، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] وغيرها.

٣ ـ العبادات البدنية: كالصلاة، والنحر، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٥٢)، ومسلم برقم: (١٥٩٩).

﴿وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: ٢]، والطواف، قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝٢٩﴾ [الحج: ٢٩]، وإماطة الأذى عن الطريق، قال ﷺ في خصال الإيمان: «**وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»[1]، وغيرها.

٤ ـ **العبادات المالية**: كالنفقات التعبدية؛ من زكوات، وصدقاتٍ، ووصايا، وأوقاف، وهبات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦٠﴾ [التوبة: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٩﴾ [التوبة: ٩٩]، وإطعام الطعام، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٨، ٩].

والإيمان بألوهية الله ﷻ لازم الإيمان بربوبيته، فمن أقرّ بأن الله هو الخالق، المالك، المدبر، لزمه أن يقر بألوهيته، ويفرده بالعبادة. وقد أقام الله الحجة على المشركين بهذا الإقرار، في مواضع متعددة من كتابه، **مثل**:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

وقوله: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٣٢﴾ [يونس: ٣١، ٣٢].

وقوله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ

(١) أخرجه مسلم برقم: (٣٥).

ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٥٩ ـ ٦٤]؛ فأقام الله تعالى الحجة عليهم بتوحيد الألوهية بإقرارهم بتوحيد الربوبية.

كما أنه سبحانه أبطل ألوهية آلهة المشركين بكونها لا تتصف بشيء من صفات الربوبية، قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِۦِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الأعراف: ١٩١ ـ ١٩٨].

وقال: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: ٣].

وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

ولهذا كان الشرك في عبادة الله تعالى:

١ ـ أظلم الظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]؛ لأنه تنقص لرب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره، وعدل

غيره به، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١].

٢ ـ **أكبر الكبائر**، قال النبي ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً، قلنا: بلى، يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله**»(١)، الحديث، متفق عليه.

٣ ـ **أعظم الذنوب**: سُئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ**»(٢)، متفق عليه.

٤ ـ **انتكاس في الفطرة، وتردٍّ في الضلالة**، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج: ٣١].

وقد رتّب الله تعالى على الشرك ـ لعظم بشاعته ـ أحكاماً دنيوية، وأخروية، **منها**:

١ ـ **عدم الغفران**: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

٢ ـ **تحريم الجنة، والخلود في النار**: قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝٧٢﴾ [المائدة: ٧٢].

٣ ـ **حبوط جميع الأعمال**: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزمر: ٦٥].

٤ ـ **سقوط عظمة الدم والمال**: قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة: ٥]، وقال ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(٣)، متفق عليه.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٤)، ومسلم برقم: (٨٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٤٧٧)، ومسلم برقم: (٨٦).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٢٥)، ومسلم برقم: (٢٢)، واللفظ لمسلم.

وقد ضلَّ في هذا الباب طوائف من بني آدم، **منهم**:

١ ـ **عُباد الأوثان**: على اختلاف معبوداتهم؛ من شجر، وحجر، وإنس، وجن، وملائكة، وكواكب، وحيوانات، مما أغواهم به الشيطان.

٢ ـ **القبوريون**: الذين يدعون المقبورين، ويقدمون لهم النذور والقرابين، ويسألونهم جلب النفع، ودفع الضر.

٣ ـ **السحرة والمشعوذون والكهان**: الذين يعبدون الجن لقاء ما يخبرونهم به، أو يحضرونه لهم، أو يصنعونه لهم.

ولعظيم خطر الشرك في العبادة حذَّر النبي ﷺ من الأسباب الموصلة إليه، وسد الطرق المفضية إلى وقوعه، **ومن أمثلة ذلك**:

١ ـ **التحذير من الغلو في الصالحين**: قال ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّما أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»[١]، رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، وقال: «**لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»[٢]، رواه البخاري.

ومن الغلو في الصالحين: التوسل بهم، **والتوسل أنواع**:

أحدها: توسل شركي، مخرج من الملة: وهو دعاؤهم من دون الله؛ بقضاء الحاجات، وكشف الكربات.

الثاني: توسل بدعي: لا يبلغ مبلغ الشرك، وهو التوسل إلى الله بما لم يشرعه الله؛ كالتوسل بذوات الصالحين، أو جاههم، أو حقهم، أو حرمتهم، ونحو ذلك.

الثالث: توسل مشروع: وهو التوسل بالإيمان بالله، وطاعته، ودعائه باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته، أو بعملٍ صالح قدَّمه، أو طلب الدعاء من حي صالح، في شأن عام، وأما قول عمر رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم: (٣٠٢٩)، والنسائي برقم: (٣٠٥٧)، وأحمد برقم: (١٨٥١)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٤٥).

إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا»[(١)]، رواه البخاري. فهو توسل بدعاء العباس؛ لقرابته من النبي ﷺ، لا بذاته، ولو كان التوسل بالذوات مشروعاً؛ لتوسلوا بالنبي ﷺ، ولو بعد وفاته.

٢ ـ التحذير من الافتتان بالقبور: ومن صور ذلك:

• **اتخاذها مساجد**: فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، وهو كذلك يقول: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى اليَهُودِ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يحذر ما صنعوا»[(٢)]. قالت: «لَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً»[(٣)]، متفق عليه. وقال: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[(٤)]، رواه مسلم.

ومعنى اتخاذها مساجد: أي: قصد الصلاة عندها، وإن لم يُبن عليها مسجد، فإن المسجد هو موضع السجود.

• **البناء عليها**: وأن يزاد عليها غير ترابها، وتجصيصها: فعن أبي الهياج الأسدي رحمه الله قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ **(أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالاً إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْراً مُشْرِفاً إِلَّا سَوَّيْتَهُ)**»[(٥)]، رواه مسلم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ»[(٦)]، رواه مسلم. فيدخل في ذلك عقد القباب عليها، وتزويقها، وزخرفتها.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٠١٠).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٤٤٣)، ومسلم برقم: (٥٣١).
(٣) أخرجه البخاري برقم: (١٣٩٠)، ومسلم برقم: (٥٢٩).
(٤) أخرجه مسلم برقم: (٥٣٢).
(٥) أخرجه مسلم برقم: (٩٦٩).
(٦) أخرجه مسلم برقم: (٩٧٠).

• **شد الرحال إليها**: لعموم قوله ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى**»[١]، متفق عليه.

• **اتخاذ قبره ﷺ عيداً**: قال ﷺ: «**وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً**»[٢]، رواه أبو داود. والعيد: ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان.

٣ ـ التحذير من مشابهة المشركين، وأهل الكتاب: في اعتقاداتهم وعباداتهم وعاداتهم، المختصة بهم، قال ﷺ: «**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ**»[٣]، متفق عليه، وقال: «**خَالِفُوا الْمَجُوسَ**»[٤]، رواه مسلم، وقال: «**خَالِفُوا الْيَهُودَ**»[٥]، رواه أبو داود.

٤ ـ التحذير من التصوير: فعن عائشة أن أم سلمة رضي الله عنهما ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ، فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّوَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ العَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**»[٦]، متفق عليه.

٥ ـ التحذير من الألفاظ الشركية: ومن صور ذلك:

• **الحلف بغير الله**: لحديث: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»[٧]، رواه الترمذي.

• **التسوية في المشيئة**؛ لقوله لمن قال له: ما شاء الله وشئت: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدّاً؟؟! قُلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»[٨]، رواه النسائي.

• **قول: مطرنا بنوء كذا**: لقوله في الحديث القدسي: «**وأما من قال:**

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١١٨٩)، ومسلم برقم: (١٣٩٧)، واللفظ لمسلم.
(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٢٠٤٢)، وصححه الألباني.
(٣) أخرجه البخاري برقم: (٢٥٩). (٤) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٠).
(٥) أخرجه أبو داود برقم: (٦٥٢)، وصححه الألباني.
(٦) أخرجه البخاري برقم: (٤٣٤)، ومسلم برقم: (٥٢٨)، واللفظ للبخاري.
(٧) أخرجه الترمذي برقم: (١٥٣٥)، وصححه الألباني.
(٨) أخرجه النسائي برقم: (٣٧٨٢).

مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب»[(١)]، متفق عليه. ويقاس عليه كل قول يتضمن نسبة التدبير لغير الله.

٦ ـ التحذير من الأعمال المفضية إلى الشرك: **ومن صور ذلك:**

• لبس الحلقة أو الخيط، في اليد، أو العنق، بقصد دفع البلاء، أو رفعه؛ لحديث عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي ﷺ أَبْصَرَ عَلَى عَضُدِ رَجُلٍ حَلْقَةً، أُرَاهُ قَالَ: مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «**وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟**» قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ؟ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْناً، انْبِذْهَا عَنْكَ؛ فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَداً**»[(٢)]، رواه أحمد وابن ماجه، وابن حيان.

• تعليق التمائم، والودع، والأوتار، والقلائد؛ لدفع العين؛ لحديث: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً، فَلَا وَدَعَ اللهُ لَهُ**»[(٣)]، رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم. وفي رواية عند أحمد، والحاكم: «**مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ**»[(٤)]؛ ولحديث: «**لَا يَبْقَيَنَّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ**»[(٥)]، متفق عليه.

• الرقى والعزائم الشركية، والتولة؛ لحديث: «**إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»[(٦)]، رواه أبو داود، وابن ماجه. والتولة: شيءٌ يصنعونه، يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها.

• الذبح في مواضع الشرك؛ لقوله ﷺ لما سأله رجل نذر أن ينحر إبلاً ببوانة: «**هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟**» قَالُوا: لَا، قَالَ: «**هَلْ**

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٠٣٨)، ومسلم برقم: (٧١)، واللفظ لمسلم.
(٢) أخرجه أحمد برقم: (٢٠٠٠٠).
(٣) أخرجه أحمد برقم: (١٧٤٠٤)، وقال محققو المسند: «حديث حسن»، وابن حبان برقم: (٦٠٨٦)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم: (٧٥٠١).
(٤) أخرجه أحمد برقم: (١٧٤٢٢)، وقال محققو المسند: «إسناده قوي»، والحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم: (٧٥١٣).
(٥) أخرجه البخاري برقم: (٣٠٠٥)، ومسلم برقم: (٢١١٥).
(٦) أخرجه أبو داود برقم: (٣٨٨٣)، وابن ماجه برقم: (٣٥٣٠)، وصححه الألباني.

كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْفِ بِنَذْرِكَ**»[(١)]، رواه أبو داود.

- التطير والتشاؤم؛ لحديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»[(٢)]، رواه أبو داود، وابن ماجه.

وبالجملة كل من أثبت سبباً لم ينصبه الله سبباً، لا حساً، ولا شرعاً، فقد وقع في الشرك، أو تطرق إليه.

رابعاً: الإيمان بأسمائه وصفاته:

وهو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى. وإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه، أو أثبته له نبيه في سُنَّته، من صفات الكمال، ونعوت الجلال، من غير تمثيل ولا تكييف، ونفي ما نفاه عن نفسه في كتابه، أو نفاه عنه نبيّه في سُنَّته، من صفات النقص والعيب، ومماثلة المخلوقين، من غير تحريف، ولا تعطيل. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

وأسماؤه وصفاته سبحانه توقيفية، لا يستقل العقل بإثباتها، فلا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث، فما سكت الله عنه ورسوله من الأوصاف فالواجب: السكوت عنه والتوقف فيه نفياً وإثباتاً، والاستفصال عن مراد قائله؛ فإن أراد معنى صحيحاً: قُبل المعنى، ورُد اللفظ، وإن ذكر معنى فاسداً: رُد اللفظ والمعنى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

---

(١) أخره أبو داود برقم: (٣٣١٣)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود برقم: (٣٩١٠)، وابن ماجه برقم: (٣٥٣٨)، وصححه الألباني.

وأسماء الله تعالى قد بلغت من الحسن غايته، وهي أعلام على ذاته، وأوصاف له سبحانه، وصفاته كاملة، لا نقص فيها بوجه من الوجوه، قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٧].

وهي حق على حقيقتها، فيجب إجراؤها على ظاهرها، دون تحريف، ويحرم الإلحاد فيها؛ بتعطيل، أو تمثيل، أو ابتداع أسماء لم يسم بها نفسه، أو اشتقاق أسماء للأصنام من أسمائه سبحانه؛ كاللات من الإلٰه، والعزى من العزيز، ومناة من المنان.

ويجب دعاؤه بها؛ دعاء مسألة، ودعاء عبادة. وينبغي إحصاؤها، وفهم معانيها، والتفكر في آثارها، والعمل بمقتضاها؛ وذلك أشرف العلوم.

وتنقسم صفات الله تعالى باعتبار تعلقها به سبحانه إلى:

١ ـ **صفات ذاتية**: وهي الملازمة لذاته المقدسة؛ كالحياة، والسمع، والبصر، والعلم، والقدرة، والإرادة، والحكمة، والقوة، وغيرها.

٢ ـ **صفات فعلية**: وهي المتعلقة بمشيئته وحكمته؛ يفعلها إذا شاء، كيف شاء، بما تقتضيه حكمته البالغة؛ كالاستواء، والنزول، والمحبة، والبغض، والفرح، والعجب، والضحك، والمجيء، وغيرها مما جاء في القرآن، أو صحت به السُّنَّة.

ويقال عن بعضها؛ كصفة الكلام: ذاتية، فعلية: فهي ذاتية باعتبار أصل الصفة، وفعلية باعتبار آحادها وأفرادها، أو يقال: قديم النوع، حادث الآحاد.

ويقال عن بعضها: صفات خبرية: وهي ما كان سبيل إثباتها الخبر المجرد، دون العقل؛ كالوجه، واليدين، والعينين، والقدم، وغيرها مما صح به الخبر.

ومن صفات الله تعالى، الثابتة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع:

١ ـ صفة العلو: وهو ثلاثة أنواع:

أ ـ علو القدر؛ أي: أن له سبحانه من كل صفة كمال أكملها وأتمها وأعلاها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠].

ب ـ علو القهر؛ أي: أن الله تعالى له العزة والقوة والغلبة والامتناع على جميع خلقه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨].

ت ـ علو الذات؛ أي: أن الله تعالى بذاته فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، ليس فيه شيءٌ من خلقه، ولا في خلقه شيءٌ منه، سبحانه وبحمده، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ سأل الجارية، فقال لها: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[1].

وقد تضافرت أدلة الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعقل والفطرة، على إثبات هذا النوع، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصر. والعلو صفة ذاتية.

٢ ـ صفة الاستواء: قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] في ستة مواضع في القرآن الكريم، وسابعها: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] والاستواء هو علو الله على عرشه، بعد خلق السماوات والأرض، علوّاً يليق بجلاله وعظمته، لا يماثل استواء المخلوقين. والاستواء صفة فعلية.

٣ ـ صفة الكلام: قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وصفة الكلام: هي أن الله تعالى يتكلم بكلام حقيقي، مسموع، بحروف وأصوات، لا يماثل كلام المخلوقين، وأنه يتكلم متى شاء، بما شاء، كيف شاء، صدقاً، وعدلاً، بكلمات لا تنفد، لم يزل ولا يزال متكلماً سبحانه. والكلام صفة ذاتية باعتبار أصله، وصفة فعليه باعتبار آحاده وأفراده.

(١) أخرجه مسلم برقم: (٥٣٧).

فجميع هذه الأنواع من الصفات حق على حقيقتها، فيجب إثباتها، وإمرارها كما جاءت، وإجراؤها على ظاهرها دون تحريف ولا تعطيل، ودون تمثيل ولا تكييف. وذلك مطَّرد في جميع الصفات، فالقول في بعض الصفات كالقول في الباقي، سواءً بسواء، ومن فرَّق فقد تحكَّم بغير دليل.

وقد ضل في باب أسماء الله وصفاته طوائف من أهل القبلة، **وهم**:

١ ـ **أهل التمثيل**: الذين بالغوا في الإثبات حتى وقعوا في التمثيل، وشبهتهم أن ذلك مقتضى النصوص؛ لأن الله خاطب الناس بما يعهدون في المخلوقات!

والرد عليهم، من وجوه:

أولاً: أن الله نفى عن نفسه المثل، والكفؤ، والند، بآيات محكمة صريحة؛ قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، ولا يمكن أن يكون كلام الله متناقضاً.

ثانياً: أن العقل السليم يأبى أن يكون الإلٰه الخالق الكامل؛ كالعبد المخلوق القاصر. فكما أن ذاته لا تشبه الذوات، فصفاته لا تشبه الصفات.

ثالثاً: أن الله خاطب العباد بما يفهمون، من حيث أصل المعنى، ولا يلزم من الاشتراك في المعنى العام الكلي المطلق، التماثل في الحقائق والكيفيات. فإذا كان اتفاق الأسماء بين المخلوقات نفسها لا يوجب تماثلاً بينها؛ كلفظ السمع، والبصر، والقدرة، فما بين الخالق والمخلوق من باب أولى.

٢ ـ **أهل التعطيل**: الذين بالغوا في التنزيه حتى وقعوا في النفي والتعطيل. وشبهتهم أن إثبات الصفات يستلزم التمثيل؛ لكون تلك الصفات مما يتصف به المخلوق، فيتعين نفيها عن الخالق! وأثبتوا لله وجوداً مطلقاً غير مقيد بصفة، فأشدهم تعطيلاً القرامطة الباطنية الذين نفوا عنه النقيضين، ثم الجهمية الذين أنكروا الأسماء والصفات، ثم المعتزلة الذين أثبتوا الأسماء وأنكروا ما تضمنته من صفات.

والرد عليهم، من وجوه:

أولاً: أن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات في آيات محكمة، صريحة، مفصلة، وذكرها مقرونة بنفي التمثيل؛ كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١] ولا يمكن أن يكون كلام الله متناقضاً.

ثانياً: أن إثبات وجود مطلق لا يقبل الاتصاف بوصف لا حقيقة له في الأعيان، وإنما هو قضية في الأذهان فحسب، فمقالتهم تؤول إلى إنكار الخالق.

ثالثاً: أن الوصف بالألفاظ العامة، المطلقة، الكلية، في معين، لا يلزم أن يكون هو بعينه ثابتاً في معين آخر؛ لأن الصفة إذا قيدت، أو أضيفت، زال الاشتراك في الخارج.

٣ ـ أهل التأويل: الذين اعتقدوا أن بعض نصوص الصفات؛ كالصفات الفعلية والخبرية لا تدل على صفة حقيقية لله تعالى، فطفقوا يبحثون عن معانٍ مجازية يحملون النصوص عليها، بلا دليل صحيح يسوغ لهم صرف الكلام عن ظاهره، إلى خلاف الظاهر، مسمين تحريفهم هذا تأويلاً!

والرد عليهم، من وجوه:

أولاً: أن الله تعالى أعلم بنفسه، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً، من خلقه، ورسوله ﷺ أعلم بربه، وأصدق لساناً، وأفصح بياناً، وأنصح الأمة للأمة، فكيف يستدرك أحد على الله ورسوله، ويجعل كلامهما مدعاةً للتلبيس والضلال.

ثانياً: أن الأصل في الكلام حمله على حقيقته، ولا يصح تأويله إلا بدليل صحيح يقتضي صرفه عن ظاهره إلى مجازه، ولا دليل.

ثالثاً: أن النبي ﷺ قد بيَّن للناس ما نزل إليه من ربهم، وبلغ البلاغ المبين، فلا يمكن أن يهمل ﷺ هذا الباب العظيم دون بيان المراد الذي ادعاه هؤلاء المحرفون من المعاني المخترعة!

٤ ـ **أهل التجهيل**: الذين اعتقدوا أن معاني ما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر بها رسوله مجهولة المعنى، لا يعلمها إلا الله، ولا سبيل لأحد إلى العلم بها! ويسمون طريقتهم تفويضاً!

والرد عليهم، من وجوه:

أولاً: أنه يمتنع أن يكون باب العلم بالله، الذي هو أشرف أبواب الدين موصداً، فلا عقل، ولا نقل يدلان عليه.

ثانياً: أن الله تعالى أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وأمر عباده بتعقله، وتدبر معانيه، ولم يستثن شيئاً، فدلَّ على إمكان العلم بالمعاني، وأما الكيفيات والحقائق فإنها من الغيبيات التي يُفوَّض علمها إلى الله.

ثالثاً: أن هذا المسلك يقتضي تجهيل السابقين الأولين، من سلف هذه الأمة، ووصفهم بأنهم بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وأن آيات الصفات في حقهم بمنزلة الطلاسم، وحروف المعجم التي لا تفيد معنى معقولاً.



الإيمان بالملائكة

هو الاعتقاد الجازم أن الله خلق خلقاً لعبادته، وأخلصهم لطاعته، وخصهم بقربه، وأسكنهم سماواته، ومنحهم القوة على تنفيذ أمره.

ولا يتم الإيمان بالملائكة إلا بالاعتقاد:

أولاً: أنهم عباد مكرمون، بررة مقربون، خاضعون لربهم، مشفقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٨]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠]، وقال: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]، وقال: ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٦]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١]، وقال: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة: ٣٢].

ثانياً: أنهم مسمَّون بأسماء كريمة: فمن علمنا اسمه منهم آمنا به باسمه، ومن لم نعلم اسمه فإنا نؤمن به إجمالاً، ومما نعلمه من أسماء الملائكة الكرام: جبريل وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، ومالك، ورضوان، وهاروت، وماروت، ومنكر ونكير، كما جاء في القرآن، والسُّنَّة.

ثالثاً: أنهم مخلوقون من نور، أولو أجنحة، على هيئات عظيمة، متنوعة، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [فاطر: ١]

وقال ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ**»[(١)]، رواه مسلم. وفي الصحيحين: «أن رسول الله ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ»[(٢)]، وقال ﷺ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**»[(٣)]، رواه أبو داود، وفي رواية للطبراني: «**رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَعَلَى قَرْنِهِ الْعَرْشُ، وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ خَفَقَانُ الطَّيْرِ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ، يَقُولُ الْمَلَكُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتَ**»[(٤)].

فهم خلق حقيقي نوراني، لا قوى معنوية، كما زعم ذلك بعض المجازفين، ولا يحصيهم كثرةً إلا خالقهم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، وفي حديث أنس المتفق عليه، في قصة المعراج: أن النبي ﷺ، رفع له البيت المعمور، في السماء السابعة، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه، آخر ما عليهم[(٥)].

رابعاً: أنهم صافون مسبحون: ألهمهم الله تسبيحه، وامتثال أمره، ومنحهم القوة على تنفيذه، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات: ١٦٤ ـ ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٨]، وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ: «**تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟**» قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ. قَالَ: «**إِنِّي لَأَسْمَعُ أَطِيطَ**

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٩٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٣٤)، ومسلم برقم: (١٧٧)، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٢٧)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط برقم: (٦٥٠٣)، وصححه الألباني.

(٥) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٧)، ومسلم برقم: (١٦٤).

السَّمَاءِ، وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ، وَمَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ»[1]، رواه الطبراني. وفي رواية من حديث أبي ذر ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ. لَوْ عَلِمْتُمْ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً، وَلَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ عَلَى، أَوْ إِلَى، الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ**»[2]، رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه.

خامساً: أنهم محجوبون عن المشاهدة: فهم عالم غيبي، لا يقعون تحت مدارك الحواس الإنسانية، في الحياة الدنيا، إلا لمن شاء الله؛ كرؤية نبيّنا ﷺ لجبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وإنما يرون في الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: ٢٢]، وقال: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد: ٢٣]. ولكن الله أعطاهم القدرة على التحول والتشكل على هيئة الآدميين، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: ١٧]، وقال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: ٦٩، ٧٠]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود: ٧٧، ٧٨] فكانوا عليهم السلام على صورة رجال.

وكذلك حين أتى جبريل النبي ﷺ على صفة رجل شديد بياض الثياب،

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم: (٣١٢٢)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أحمد، برقم: (٢١٥١٦)، والترمذي برقم: (٢٣١٢)، وابن ماجه برقم: (٤١٩٠)، وحسنه الألباني.

شديد سواد الشعر[(١)]، وكان يأتيه أحياناً على صورة دحية الكلبي رضي الله عنه[(٢)].

سادساً: أنهم موكلون بأعمال متنوعة: إلى جانب وظيفتهم الأساسية المستمرة؛ من عبادة الرب وتسبيحه، **فمن ذلك**:

١ ـ النزول بالوحي: وهي وظيفة جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٤].

٢ ـ إنزال القطر، وإنبات الأرض: وهي وظيفة ميكائيل، لما رواه أحمد، أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: «لَوْ قُلْتَ: مِيكَائِيلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِالرَّحْمَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْقَطْرِ، لَكَانَ»[(٣)].

٣ ـ النفخ في الصور: للصعق وللبعث، وهي وظيفة إسرافيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]. وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ**» فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا**»[(٤)]، رواه أحمد والترمذي.

وهؤلاء الثلاثة: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، هم سادة الملائكة؛ لأن مهامهم تتعلق بالحياة، فجبريل موكّل بحياة القلوب، وميكائيل موكّل بحياة النبات، وإسرافيل موكَّل بحياة الأبدان، وأشرفهم جبريل عليه السلام، وهو روح القدس.

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٨).

(٢) أخرجه النسائي برقم: (٥٠٠٦)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين برقم: (٧٤١٢).

(٣) أخرجه أحمد، ط الرسالة برقم: (٢٤٨٣)، وقال محققو المسند: «حديث حسن».

(٤) أخرجه أحمد برقم: (١١٠٣٩، ١١٦٩٦)، والترمذي، وحسنه، برقم (٢٤٣١)، وصححه الألباني.

٤ ـ حفظ بني آدم: قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١].

٥ ـ حفظ أعمال بني آدم: قال تعالى: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢].

٦ ـ تثبيت المؤمنين ونصرهم: قال تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

٧ ـ قبض الأرواح: وهي وظيفة ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: ٦١].

٨ ـ سؤال الميت في قبره عن ربه، ودينه، ونبيِّه: والسائلان هما: منكر ونكير. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَداً مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً...، وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ**»(١)، متفق عليه. وفي لفظ عند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**إذا قُبِرَ المَيِّتُ** ـ أوْ قالَ: **أحدُكم** ـ **أتاهُ مَلَكانِ أسودانِ أزرقانِ، يُقالُ لأحدِهما المُنكَرُ، وللآخَرِ النَّكيرُ، فيقولانِ**:

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٣٧٤)، ومسلم برقم: (٢٨٧٠).

ما كنتَ تقولُ في هذا الرَّجُلِ؟...» الحديث[(١)].

٩ ـ العناية بالجنين: بنفخ الروح فيه، وكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد. فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: «**إنَّ أَحَدَكُمْ يُجمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكاً فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ**» الحديث[(٢)].

١٠ ـ خزانة النار: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً﴾ [المدثر: ٣١]، وقال: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

١١ ـ الاستغفار للمؤمنين، والدعاء لهم، وبشارتهم، وإكرامهم في الجنة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر: ٧ ـ ٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]، وقال: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].



(١) أخرجه الترمذي برقم: (١٠٧١)، وقال الألباني: (إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفي ابن إسحاق، وهو العامري القرشي، مولاهم، كلام لا يضر). السلسلة الصحيحة (٣/ ٣٨٠)، وحسنه في مواضع.

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٢٠٨)، ومسلم برقم: (٢٦٤٣).



الإيمان بالكتب

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى أنزل على أنبيائه كتباً بالحق، هدى للناس، ورحمةً بهم، وموعظة لهم، وحجةً عليهم، وتبياناً لكل شيء.

والإيمان بها يقتضي أموراً:

أولاً: الإيمان بأنها منزلة من عند الله بالحق، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾ [آل عمران: ٣]، فهي كتب الله وكلماته، وليست كلام ملك مقرب، ولا نبي مرسل، فلها صفة العصمة والقداسة.

ثانياً: الإيمان بما علمنا اسمه منها تعييناً، وما لم نعلم اسمه نؤمن به إيماناً مجملاً، وأعظمها **ثلاثة**:

١ ـ **التوراة**: التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝١٤٥﴾ [الأعراف: ١٤٤، ١٤٥]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

٢ ـ **الإنجيل**: الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [الحديد: ٢٧]، وقال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٦﴾ [المائدة: ٤٦].

٣ ـ القرآن: الذي أنزله الله على محمد ﷺ، وهو أعظمها كلها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١]

ومن كتب الله: الزبور، الذي آتاه داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥]، وصحف إبراهيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

ثالثاً: تصديق ما لم يحرف من أخبارها: فقد أخبر تعالى أن كتب بني إسرائيل قد دخلها التحريف اللفظي والمعنوي، فقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١] وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨].

وأما القرآن العظيم فقد تكفل الله بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وصانه، فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

وتأسيساً على ذلك، فإن القصص والأخبار المذكورة في كتب أهل الكتاب، المسماة اصطلاحاً (الإسرائيليات) لا تخلو من **ثلاثة أحوال**:

إحداها: أن تكون موافقةً لما في القرآن: فنعتقد صحتها، لشهادة كتابنا لها؛ كذكر الطوفان، وقصة إبراهيم ويوسف وموسى، وإغراق آل فرعون، وآيات عيسى عليه السلام وغيرها، دون ما تضمنته من تفاصيل.

الثانية: أن تكون مخالفةً لما في القرآن: فنعتقد بطلانها، وأنها مما أحدثوه، وكتبوه بأيديهم، ولَوَوا به ألسنتهم؛ كزعمهم أن لوطاً عليه السلام شرب الخمر، وزنى بابنتيه! أكرمه الله، وحاشاه، وزعمهم أن عيسى هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة! تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً.

الثالثة: أن تكون غير موافقة ولا مخالفة: فلا نصدقها، ولا نكذبها؛ لقول النبي ﷺ: «**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ؛ فَإِنْ كَانَ حَقّاً لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلاً لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ**»[(١)]، رواه أحمد، وأبو داود، إلا إنه يجوز التحديث به، وحكايته؛ لقول النبي ﷺ: «**وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»[(٢)]، رواه البخاري. وغالبها مما لا فائدة فيه، ولا حاجة إليه.

رابعاً: الحكم بشريعة القرآن: فإن الله أنزل القرآن العظيم مهيمناً على الكتب السابقة؛ أي: حاكماً، وأميناً، وشاهداً عليه، فاستوعب ما تضمنته من مصالح، ونسخ بعض أحكامها، وأقرَّ بعضها، وزاد عليها، فلا يحل اتباع شريعة غير شريعة القرآن، فقد قال تعالى، بعد ذكر التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٨ ـ ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥].

خامساً: الإيمان بالكتاب كله، وعدم تبعيضه: قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

---

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٣٦٤٤)، وأحمد واللفظ له برقم: (١٧٢٢٥)، وقال محققو المسند: «إسناده حسن»

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٤٦١).

[البقرة: ٨٥]، وقال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [آل عمران: ١١٩].

سادساً: تحريم كتمانها، وتحريفها، والاختلاف فيها، وضرب كلام الله بعضه، ببعض: قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾ [البقرة: ١٧٤ ـ ١٧٦]، وقال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾ [البقرة: ٧٩].

وسمع النبي ﷺ قوماً يتدارؤون فقال: «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا، وَمَا جَهِلْتُمْ، فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ**»(١)، رواه أحمد.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد برقم: (٦٧٤١)، وقال محققو المسند: «صحيح، وهذا إسناد حسن».

الإيمان بالرسل

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى اصطفى من الناس رجالاً من أهل القرى، أوحى إليهم، وأرسلهم مبشرين، ومنذرين، يبلغون رسالاته إلى خلقه بعبادته وحده، واجتناب الطاغوت، رحمة بهم، وإقامةً للحجة عليهم.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج: ٧٥]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]، وقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

ومما يدخل في الإيمان بالرسل:

أولاً: الإيمان بأن رسالتهم من عند الله، بمحض مشيئته، وحكمته: قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣١، ٣٢].

فالنبوة والرسالة لا تنالان بالرياضة والمجاهدة، كما يزعم بعض زنادقة الصوفية، كما لا تثبت باجتماع القوى القدسية والتخيلية والتأثيرية، كما يزعم الفلاسفة؛ بل هي محض اصطفاء، وفضل من الله، لمن علمه أهلاً لها من كرام خلقه.

ثانياً: الإيمان برسل الله جميعاً؛ من علمنا اسمه آمنا به تعييناً، ومن لم

نعلم اسمه، فنؤمن به إجمالاً. فممن علمنا اسمه منهم المذكورون في قوله تعالى بعد ذكر إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٤ ـ ٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ﴾ [غافر: ٧٨].

فالواجب الإيمان بهم جميعاً؛ لأن دعوتهم واحدة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]؛ فالكفر بواحد منهم كفر بجميعهم، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥] مع أنه أول الرسل، فلا يجوز التفريق بين رسل الله، ولا الإيمان ببعضهم دون بعض، فمن فعل ذلك فقد كفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥٢].

ثالثاً: تصديقهم، وقبول ما أخبروا به عن الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النساء: ١٧٠]، وقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣]، وقال: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ١ ـ ٥].

فكل ما صح من أخبار الأنبياء السابقين، مما أثبته الله في كتابه، أو صح عن نبيِّه ﷺ في سُنَّته، وجب تصديقه، وأما ما يُؤثَر عنهم في الإسرائيليات، فيجرى عليها ما تقدم تفصيله في الإيمان بالكتب، وأما ما رُفع

إلى نبيِّنا محمد ﷺ من روايات مسندة، فتجرى عليها قواعد المحدثين، لمعرفة صحيحها من سقيمها، فما صح وجب قبوله والإيمان به؛ بتصديقه إن كان خبراً، والعمل به إن كان طلباً.

رابعاً: طاعتهم، واتباعهم، والتحاكم إليهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]. فالواجب على كل أمة أن تطيع نبيّها الذي بُعث فيها، وتتبعه. ولما كان آخرهم وخاتمهم محمد ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ، كانت شريعته ناسخة لما سبقها من الشرائع، وطاعته واتباعه متعينة على كل من سمع به.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧، ١٥٨]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١ ـ ٣٢]، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١)، رواه مسلم.

خامساً: موالاتهم، ومحبتهم، وتوقيرهم، والسلام عليهم، قال تعالى:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٥٣).

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦]، وقال: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات: ١٨١].

وقال عن نبيِّه محمد ﷺ: ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: ٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ، وَوَلَدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(١)، متفق عليه.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٥)، ومسلم برقم: (٤٤)، واللفظ للبخاري.

الإيمان باليوم الآخر

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى يؤخر العباد ليوم يبعثهم فيه من قبورهم، ويحاسبهم على أعمالهم، ويجزيهم عليها؛ إما بالجنة أو النار.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وقال: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧]، وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٤ ـ ١٦].

ومما يدخل في الإيمان باليوم الآخر، ما يلي:

أولاً: الإيمان بما يكون بعد الموت: من معاينة الملائكة حين الاحتضار، وفتنة القبر الحاصلة من سؤال الملكين للعبد عن ربه، ودينه، ونبيّه، وعذاب القبر، أو نعيمه، مما يكون في حياة البرزخ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]، وقال: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّاۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ**

وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَداً مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً...، وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»[(١)]، متفق عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبرين، فقال: **«إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»**، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا بِنِصْفَيْنِ، ثُمَّ غَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: **«لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا»**[(٢)]، متفق عليه.

ثانياً: الإيمان بالساعة وأشراطها، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ [الشورى: ١٧، ١٨]، وقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمد: ١٨].

ومن أشراط الساعة الكبرى: ما دل عليه قوله ﷺ: **«إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ـ فَذَكَرَ ـ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»**[(٣)]، رواه مسلم.

ومجيء الساعة مباغت، سريع؛ قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٣٧٤)، ومسلم برقم: (٢٨٧٠).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٢١٨)، ومسلم برقم: (٢٩٢).
(٣) أخرجه مسلم برقم: (٢٩٠١).

إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، وقيامها يكون بنفخة الصعق؛ قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

ثالثاً: الإيمان بالبعث: وهو إخراج الله تعالى العباد من قبورهم أحياءً، حفاةً غير منتعلين، عراةً غير مكتسين، غرلاً غير مختونين، بهماً ليس معهم شيء، وذلك بعد النفخة الثانية في الصور، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: ٥١]، وقال ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلاً**»[١]، متفق عليه.

رابعاً: الإيمان بأحوال القيامة الكبرى، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٦]، وهي قيام الناس لربِّ العالمين، قياماً طويلاً في عرصات القيامة، يُسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق، ويورد الحوض، وتنشر الدواوين، وتوضع الموازين، وينصب الصراط، في مواقف عظيمة، وأحوال مهولة.

خامساً: الإيمان بالحساب، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿١٩﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وحساب الخلائق نوعان:

١ ـ حساب المؤمنين: وهو إما عرض، أو مناقشة، فحساب العرض لمن سبقت له من الله الحسنى من السعداء، ويدل عليه حديث ابن عمر رضي الله عنهما

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٢٧)، ومسلم برقم: (٢٨٥٩)، واللفظ له.

أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ**»(١)، متفق عليه.

وأما حساب المناقشة، فيقع لأصحاب الكبائر من الموحدين، ممن شاء الله أن يعذبهم بذنوبهم في النار، ومآلهم إلى الجنة، ويدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ**»(٢)، متفق عليه.

٢ ـ **حساب الكافرين**: فهؤلاء لا يحاسبون محاسبة الموازنة بين الحسنات والسيئات؛ لأنه لا حسنات لهم، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]؛ بل يوقفون على أعمالهم، ويقررون بها، ففي حديث ابن عمر السابق: «**وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ**»(٣)، متفق عليه.

سادساً: الإيمان بالجزاء: وهو الإيمان أن الجنة حق، والنار حق، فالجنة هي الدار التي أعدها الله جزاءً لعباده المتقين، فيها من صنوف النعيم الحسي والمعنوي، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، والنار هي الدار التي أعدها الله جزاءً للكافرين، فيها من صنوف العذاب الحسي والمعنوي مثل ذلك، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٤٤١)، ومسلم برقم: (٢٧٦٨)، واللفظ للبخاري.
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٣٧)، ومسلم برقم: (٢٨٧٦)، واللفظ للبخاري.
(٣) أخرجه البخاري برقم: (٢٤٤١)، ومسلم برقم: (٢٧٦٨)، واللفظ لمسلم.

هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٢ ـ ٣٧].





الإيمان بالقدر

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى قدر مقادير الخلائق بعلمه الأزلي، وكتبها في اللوح المحفوظ، وأجراها بمشيئته، وأوجدها بقدرته.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر: ٤٩]، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: ٢].

ومما يدخل في الإيمان بالقدر، ما يلي:

أولاً: الإيمان بعلم الله الأزلي، الأبدي، المحيط بكل شيء جملةً، وتفصيلاً، مما يتعلق بأفعاله؛ من الآجال، والأرزاق، أو يتعلق بأفعال عباده؛ من الطاعات، والمعاصي، قال تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] وقال: ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]. فقد علم من سيطيعه، ومن سيعصيه، كما علم ما يُعمَّر من مُعمَّر، وما يُنقَص من عمره.

ثانياً: الإيمان بكتابة الله للمقادير في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾ [سبأ: ٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(١)، رواه مسلم. وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أوَّلَ ما خلقَ الله القلمُ،**

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٦٥٣).

فقال له: اكتُبْ، قال: ربِّ، وماذا أكتُبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كل شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ»[(١)]، رواه أبو داود والترمذي.

وقد جمع الله العلم، والكتابة في قوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٧٠].

ثالثاً: الإيمان بمشيئة الله النافذة: فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، ولا يكون في ملكه ما لا يريد، يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله، ولا معقب لحكمه.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩].

رابعاً: الإيمان بخلق الله لجميع الكائنات، وإيجاده لها: فالله الخالق، وما سواه مخلوق، وجميع الأشياء: ذواتها، وصفاتها، وحركاتها، مخلوقة، محدثة، والله خالقها، وموجدها، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]؛ فأفعال العباد خلق لله، وكسب لهم، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

خامساً: الإيمان أنه لا تلازم بين المشيئة والمحبة: فقد يشاء ما لا يحب، وقد يحب ما لا يشاء، لحكمة بالغة، وغاية محكمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣]، وقال: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

سادساً: الإيمان أنه لا تعارض بين الشرع والقدر، قال تعالى: ﴿إِنَّ

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٠٠)، والترمذي برقم: (٢٦٤٥)، وصححه الألباني.

سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٤ ـ ١٠]. وذلك أن الشرع كتاب مفتوح، والقدر غيب مكنون؛ فقد قدر الله مقادير العباد، وأخفى ذلك عنهم، وأمرهم، ونهاهم، وأعدهم، وأمدهم بما يؤهلهم لامتثال أمره، واجتناب نهيه، وعذرهم إذا عرض لهم مانع من موانع التكليف، فلا حجة لأحد بالقدر السابق على فعل المعصية، وترك الطاعة، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٨، ١٤٩] فأكذب دعواهم أولاً، وأذاقهم بأسه ثانياً، ولو كان لهم في القدر حجة ما أذاقهم بأسه، وكشف زيف دعواهم ثالثاً؛ فهم لم يطّلعوا على كتابهم، فيصدروا عن علم، فيكون حجة لهم؛ بل هي مبنية على ظن وتخرص ليس إلا! فصارت الحجة البالغة لله.

وقد ضل في باب القدر طائفتان:

إحداهما: القدرية النفاة: الذين أنكروا القدر، وغلوا في إثبات فعل العبد.

وهم على درجتين:

١ ـ **غلاة**: وهم أوائلهم، الذين ظهروا في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم، وأنكروا العلم والكتابة والمشيئة والخلق، وزعموا أن الأمر أُنُف، وقد ردّ عليهم من أدركهم من الصحابة، كابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم.

٢ ـ **دون ذلك**: وهم المعتزلة، الذين أثبتوا العلم والكتابة، وأنكروا المشيئة والخلق، وزعموا أن العبد يخلق فعل نفسه.

الثانية: الجبرية: الذين غلوا في إثبات فعل الرب، حتى سلبوا العبد مشيئته وقدرته، وجعلوا أفعاله اضطرارية؛ كحركة المرتعش، ونفوا عن أفعال الله الحكمة والتعليل.

وهم على درجتين:

١ ـ **غلاة**: وهم زنادقة الصوفية، الذين يزعمون شهود الحقيقة الكونية، ويسوغون لأنفسهم فعل كل شيء، بدعوى موافقة القدر، ويقول قائلهم:

أصبحت منفعلاً لما يختاره   مني ففعلي كُله طاعات

٢ ـ **دون ذلك**: وهم الأشاعرة القائلون بنظرية الكسب، وإثبات قدرة للعبد غير مؤثرة.

وكلا الطائفتين محجوج بالشرع والواقع:

١ ـ فمنكرو القدر بمراتبه الأربع؛ العلم، والكتابة، والمشيئة والخلق، التي تقدم ذكرها، ترد عليهم النصوص الصريحة بإثباتها، ويدل الواقع على أن المرء يعمد لفعل شيءٍ من الأشياء، فيحال بينه وبينه.

٢ ـ والجبرية الغلاة في إثبات القدر ترد عليهم النصوص الدالة على إثبات الإرادة والمشيئة والفعل للعبد، ويدل الواقع على أن كل إنسان يفرق بين أفعاله الاختيارية والاضطرارية. وأما نظرية «الكسب» فلا حقيقة لها معقولة. كما أن النصوص الشرعية متوافرة في إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله ﷻ.



القرآن

القرآن كلام الله، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦]، وقال ﷺ، وهو يعرض نفسه على القبائل في الموسم: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ؛ فَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»[1]، رواه الخمسة.

فالقرآن كلام الله تعالى حقيقةً؛ حروفه ومعانيه، لا يشبه كلام المخلوقين، منزل غير مخلوق، تكلم الله به ابتداءً، وأوحاه إلى الروح الأمين، جبريل، فنزل به على قلب محمد ﷺ، مفرقاً، فقرأه على الناس، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وإذا تلاه الناس، أو كتبوه في المصاحف، أو حفظوه في الصدور، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة؛ فإن الكلام إنما ينسب حقيقةً إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً، فالتلاوة غير المتلو، والكتابة غير المكتوب، والحفظ غير المحفوظ، وهكذا سائر التصرفات، فالفعل فعل القارئ، أو الكاتب، أو الحافظ، والكلام كلام البارئ، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٢، ١٠٣]، وقد أكفر من نسبه إلى قول البشر، وتوعده بسقر، فَقَالَ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٢٦].

---

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٩٢٥)، والنسائي في الكبرى برقم: (٧٦٨٠)، وأبو داود برقم: (٤٧٣٤)، وابن ماجه برقم: (٢٠١)، وأحمد برقم: (١٥١٩٢)، وصححه الألباني.

وقد ضل في هذا الباب طائفتان:

أحدهما: الجهمية والمعتزلة: الذين أنكروا صفات الله، ونفوا كلامه، وزعموا أن إضافة الكلام إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى الخالق؛ كعبد الله، وبيت الله، وناقة الله، لا من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وقالوا: القرآن مخلوق.

والرد عليهم: إن المضاف إلى الله إما أن يكون عيناً قائمة بذاتها، فيكون من إضافة المخلوق لخالقه، وإما أن يكون وصفاً لا يتصور قيامه بنفسه، مثل: الحياة والسمع والبصر والعلم والكلام، فيكون من إضافة الصفة إلى المتصف بها، مع مخالفة ما ادعوه للكتاب والسُّنَّة والإجماع.

ويلتحق بهم «اللفظية» القائلون: لفظي بالقرآن مخلوق، و«الواقفة» الذين لا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق.

الثانية: الصفاتية من الكلابية، والأشاعرة، والماتريدية: الذين أثبتوا كلام الله بأنه المعنى القديم القائم في نفسه، وأما الحروف والأصوات فمخلوقة لتعبر أو لتحكي ذلك المعنى القديم الذي لا يتجدد، ولا يتعلق بمشيئة. فقصروا الكلام على المعاني دون الحروف والأصوات، وجعلوا ما سمعه الأبوان في الجنة، وما سمعه موسى عند الشجرة مخلوقاً لا كلام الله حقيقة.

والرد عليهم: أن الكلام لا يطلق إلا على مجموع الأمرين، ولا يسمى حديث النفس كلاماً حقيقة. مع مخالفة ما قالوه للكتاب، والسُّنَّة، والإجماع.





الرؤية

ومن الإيمان بالله واليوم الآخر، الإيمان برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، عياناً بأبصارهم، من غير إحاطة، **في موضعين:**

أحدهما: عرصات القيامة؛ أي: مواقف الحساب.

والثاني: الجنة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقال: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣﴾ [المطففين: ٢٣]، وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسَّر النبي ﷺ الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم[١]، وقال ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[٢]، متفق عليه.

وقد ضل في هذا الباب طائفتان:

إحداهما: نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة، ومن وافقهم من الرافضة والإباضية: فقد أنكروا الرؤية واستدلوا بقوله تعالى لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

والرد عليهم: أن المراد بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ أي: في الدنيا كما طلب، ولا يلزم من (لن) النفي المؤبد، وأن نفي الإدراك نفي للإحاطة لا نفي للرؤية، فقد تقع الرؤية ولا يقع الإدراك، كما في رؤية الشمس، والقمر، والجبل، ونحوها. مع تواتر النصوص القرآنية والنبوية على إثبات الرؤية.

الثانية: الخرافيون من الصوفية والمبتدعة: الذين غلوا في إثبات الرؤية

(١) أخرجه الترمذي برقم: (٢٥٥٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٥٥٤)، ومسلم برقم: (٦٣٣).

وسوَّغوا وقوعها في الدنيا لأوليائهم، ورووا في ذلك الأحاديث الموضوعة، وقد قال ﷺ: «**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا**»(١).

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه أحمد برقم: (٢٢٧٦٤).

حقيقة الإيمان

١ ـ الإيمان قول وعمل؛ قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان، والجوارح.

فقول القلب: اعتقاده، وتصديقه، وقبوله.

وقول اللسان: الاستعلان بالشهادتين.

وعمل القلب: ما يقوم به من النيات، والإرادات؛ كالمحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل.

وعمل اللسان: ما يلهج به من الذكر، والدعاء، والتلاوة.

وعمل الجوارح: ما تتحرك به الأعضاء من العبادات البدنية.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥]، وقال ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ـ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ ـ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(١)، متفق عليه.

فالإيمان له حقيقة مركبة من القول والعمل، فهو تصديق مستلزم للقول والعمل، فانتفاء القول والعمل دليل على انتفاء التصديق.

(١) أخرجه البخاري برقم: (٩)، ومسلم برقم: (٣٥)، واللفظ لمسلم.

٢ ـ والإيمان عند الانفراد، مرادف للإسلام عند الانفراد، فإن كلّاً منهما يعني الدين كله. وأما عند الاقتران، فالإيمان يعني الاعتقاد الباطن، والإسلام يعني العمل الظاهر، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن، قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات: ١٤].

٣ ـ والإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالعلم بالله، والتفكر في آياته الكونية، والتدبر لآياته الشرعية، وفعل الطاعات، وترك المعاصي، وينقص بالجهل بالله، والغفلة عن آياته الكونية، والإعراض عن آياته الشرعية، وتضييع الطاعات، واجتراح السيئات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾ [الفتح: ٤].

٤ ـ والإيمان يتفاضل، وبعض خصاله أفضل من بعض، كما في الحديث المتقدم: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ـ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ ـ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(١)، متفق عليه.

٥ ـ وأهله فيه متفاضلون؛ بعضهم أكمل إيماناً من بعض، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، وقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً**»(٢)، رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (١١٦٢)، وأبو داود برقم: (٤٦٨٢)، وأحمد برقم: (٧٤٠٢)، وقال الألباني: «حسن صحيح».

فمن أتى بالشهادتين معتقداً معناهما ملتزماً مقتضاهما، فقد أتى بأصل الإيمان، فإن ضم إلى ذلك فعل الواجبات، وترك المحرمات، فقد أتى بالإيمان الواجب، ومن فعل الواجبات والمستحبات، وترك المحرمات والمكروهات، فقد أتى بالإيمان الكامل.

٦ ـ والاستثناء في الإيمان؛ بأن يقول: «أنا مؤمن إن شاء الله»، **له ثلاثة أحوال**:

أحدها: إن قاله شاكاً في أصل الإيمان، فالاستثناء محرم؛ بل كفر؛ لأن الإيمان جزم.

الثاني: إن قاله خوفاً من تزكية النفس بادعاء تحقيق الإيمان الواجب أو الكامل، فواجب.

الثالث: إن قاله تبركاً بذكر المشيئة، فالاستثناء جائز.

٧ ـ ولا يزول وصف الإيمان بمطلق المعاصي والكبائر؛ بل تنقصه، مع بقاء أصله. فمرتكب الكبيرة مؤمن ناقص الإيمان؛ مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، لا يخرج من الملة في الدنيا، ولا يخلد في النار في الآخرة؛ بل يكون تحت المشيئة؛ إن شاء عفا الله عنه بفضله، وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه بعدله بقدر ذنبه، أو ببعض ذنبه، ومآله إلى الجنة، فيخرج بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، وقال ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، يَقُولُ اللهُ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيَخْرُجُونَ قَدْ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَماً، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ**»(١)، رواه البخاري ومسلم.

وقال ﷺ: «**يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ،**

(١) أخرجه البخاري برقم: (٦٥٦٠)، ومسلم برقم: (١٨٤)، واللفظ للبخاري.

وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ»، وفي رواية: «**مِنْ إِيمَانٍ**» مَكَانَ «**مِنْ خَيْرٍ**»[(١)]، رواه البخاري، ومسلم.

وقد ضلَّ في هذه المسألة طائفتان:

الأولى: الوعيدية: القائلون بإنفاذ الوعيد، وإنكار الشفاعة في حق مرتكبي الكبائر من عصاة الموحدين. **وهم صنفان:**

١ ـ الخوارج: القائلون بأن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ودخل الكفر! فهو كافر في الدنيا، خالد في النار في الآخرة.

٢ ـ المعتزلة: القائلون بأن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر! فهو في منزلة بين منزلتين في الدنيا؛ لا مؤمن ولا كافر! خالد في النار في الآخرة!

والرد على الوعيدية من وجوه، منها:

أولاً: أن الله تعالى أثبت الإيمان، وأبقى وصف الأخوة الإيمانية لمرتكب الكبيرة، في الدنيا، كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فسمى القاتل أخاً للمقتول، وكما في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩، ١٠] فجعل الطائفتين المقتتلتين من جملة المؤمنين، وأثبت لهما الأخوة الإيمانية.

ثانياً: أن الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، ويُخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، كما تواترت بذلك أحاديث الشفاعة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٤)، ومسلم برقم: (١٩٣)، واللفظ للبخاري.

الثانية: المرجئة: القائلون بإرجاء الأعمال؛ أي: تأخيرها عن مسمى الإيمان؛ فالعمل عندهم لا يدخل في حدِّ الإيمان وحقيقته. ولهم في تعريف الإيمان **أقوال**:

١ ـ مقالة الجهمية: تصديق القلب، أو معرفة القلب، فقط، فلا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

٢ ـ مقالة الكرامية: نطق اللسان فقط.

٣ ـ مقالة مرجئة الفقهاء: تصديق القلب، ونطق اللسان، فقط، وأما الأعمال فليست داخلة في حدِّ الإيمان وحقيقته؛ بل هي من ثمراته.

والرد على المرجئة من وجوه، منها:

أولاً: أن الله سمى الأعمال إيماناً، فقال في شأن من صلوا إلى بيت المقدس، وماتوا قبل تحويل القبلة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: صلاتكم.

ثانياً: أن النبي ﷺ نفى الإيمان المطلق عن مرتكب الكبائر العملية، فقال: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(١)]، متفق عليه.

ومنشأ فساد مقالة كلتا الطائفتين؛ الوعيدية والمرجئة من اعتقادهم أن الإيمان شيء واحد، إما أن يوجد كله، أو يعدم كله! فأما المرجئة فأثبتوه بمجرد الإقرار بالقلب، أو اللسان، أو بهما معاً، ولو لم يعمل ألبتة، فهم أهل تفريط، وأما الوعيدية فنفوه بفعل أدنى كبيرة، فهم أهل إفراط، فمقدمتهما واحدة، ونتيجتاهما متضادتان!

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٤٧٥)، ومسلم برقم: (٥٧).



الإمامة والجماعة

المسلمون أمة واحدة، لا يستقيم أمرها، ولا يصلح شأنها، ولا تتحقق رسالتها، **إلا بأمور:**

١ ـ وجوب البيعة: قال ﷺ: «**من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتةً جاهلية**»[(١)]، رواه مسلم.

٢ ـ السمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف: وإقامة الحج والجمع والأعياد، مع الأمراء؛ أبراراً كانوا أو فجاراً، والنصح لهم، والرد عند التنازع إلى الكتاب والسُّنَّة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩]، وقال ﷺ: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»[(٢)]، متفق عليه، وقال: «**مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ**»[(٣)]، رواه مسلم.

٣ ـ تحريم الخروج عليهم، ومنابذتهم، ولو جاروا، إلا أن يفعلوا كفراً بواحاً، عندنا فيه من الله برهان؛ لحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «**أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ**»،

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٨٥١).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٧١٤٤)، ومسلم برقم: (١٨٣٩)، واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه مسلم برقم: (١٨٥١).

قَالَ: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(١)، رواه البخاري، ومسلم.

وقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُوراً تُنْكِرُونَهَا**» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ**»(٢)، رواه البخاري.

فلا يحل الخروج عليهم إلا بتوفر شروط ثِقال:

١ ـ التحقق من وقوع الكفر برؤية علمية، أو بصرية؛ لقوله: «**إلا أن تروا**» فلا يعتمد على الشائعات والبلاغات.

٢ ـ أن يكون كفراً، فلا يخرج عليهم لفسقهم وفجورهم.

٣ ـ إن يكون بواحاً؛ أي: ظاهراً مستعلناً، فلا يخرج عليهم لكفر خفي.

٤ ـ وجود الدليل القطعي على التكفير به؛ لقوله: «**عندكم من الله فيه برهان**» فلا يخرج عليهم لأمر ظني محتمل، أو مسألة خلافية.

٥ ـ القدرة، فلا يخرج مع العجر، ولو توفر ما مضى، حتى لا يؤدي إلى استئصال الدين وأهله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النساء: ٧٧] فأمروا بالكف حال الضعف، وكتب عليهم مع القدرة.



(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٠٥٦)، ومسلم برقم: (١٧٠٩).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٧٠٥٢).



الصحابة

الصحابي: من اجتمع بالنبي ﷺ، مؤمناً به، ومات على ذلك. والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ خير الناس بعد الأنبياء، وأفضل قرون الأمة، قال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**»[(١)]، وقال: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي**»[(٢)]، متفق عليهما.

وهم كلهم عدول؛ لأن الله سبحانه قد اختارهم لصحبة نبيِّه ﷺ، وزكاهم، ورضي عنهم، وتاب عليهم، ووصفهم بأكرم الأوصاف، ووعدهم خير عِدَة، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

ومع ذلك فإنهم يتفاضلون تفاضلاً عاماً وخاصاً؛ **فمن مراتب التفاضل العام:**

١ ـ المهاجرون أفضل من الأنصار: لجمعهم بين الهجرة والنصرة؛ ولأن الله تعالى قدمهم في الذكر، فقال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٨، ٩]، وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٦٥٢)، ومسلم برقم: (٢٥٣٣).
(٢) أخرجه البخاري برقم: (٣٦٥٠)، ومسلم برقم: (٢٥٣٥)، واللفظ للبخاري.

ﱡٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ﱠ [التوبة: ١٠٠] وقال: ﱡلَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧ﱠ [التوبة: ١١٧].

٢ ـ من أنفق من قبل صلح الحديبية وقاتل أفضل من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا، قال تعالى: ﱡلَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠ﱠ [الحديد: ١٠].

٣ ـ أهل بدر؛ لقول النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه في قصة حاطب بن أبي بلتعة: «**إِنَّهُ شَهِدَ بَدْراً وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللهَ عز وجل اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[(١)]، متفق عليه.

٤ ـ أهل بيعة الرضوان، قال تعالى: ﱡلَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨ﱠ [الفتح: ١٨]، وقال ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا**»[(٢)]، رواه مسلم.

ومن مراتب التفاضل الخاص:

١ ـ **الخلفاء الراشدون الأربعة**: فأفضل الأمة بعد نبيِّها: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، بإجماع أهل السُّنَّة والجماعة، وقد تواتر النقل من أكثر من ثمانين وجهاً، عن علي رضي الله عنه أنه قال على منبر الكوفة: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا؟ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ»[(٣)]، رواه أحمد بأسانيد صحيحة، وابن أبي عاصم. ولا يقطع علي رضي الله عنه بذلك إلا عن علم.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٤٨٩٠) (٢) أخرجه مسلم برقم: (٢٤٩٦)

(٣) أخرجه أحمد برقم: (٩٣٣)، وقال محققو المسند: «إسناده صحيح»، وابن أبي عاصم في السُّنَّة برقم: (١١٩٣).

ويليهما في الفضل عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ لما روى البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كُنَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَداً، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ، لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ»[(١)]، وفي لفظ: «يبلغ ذلك النبي ﷺ ولا ينكره»[(٢)]. وقال سفيان الثوري رحمه الله: «من قدم علياً على أبي بكر وعمر فقد أزرى على أصحاب رسول الله ﷺ»[(٣)]، لكونهم قدموه في الخلافة، ويليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

٢ ـ المبشرون بالجنة: وهم الخلفاء الأربعة، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وسعيد بن زيد ـ رضوان الله عنهم أجمعين ـ؛ فقد شهد النبي ﷺ للعشرة بالجنة[(٤)]، رواه الخمسة، وهو صحيح. كما دلت النصوص على البشارة لغيرهم؛ كبلال، وثابت بن قيس، وعبد الله بن سلام ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

٣ ـ أهل بيت النبي ﷺ: وهم خمسة بطون، تحرم عليهم الصدقة: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب. قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[(٥)]، رواه مسلم. وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً فِينَا خَطِيباً، بِمَاءٍ يُدْعَى

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٣٦٩٧).
(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السُّنَّة برقم: (١١٩٣).
(٣) تاريخ ابن معين ـ رواية ابن محرز: (١/١٥٩)، وفي البداية والنهاية، ط إحياء التراث: (٨/١٣)، والفتاوى الكبرى، لابن تيمية: (٤/٤٤٤) بلفظ آخر.
(٤) أخرجه الترمذي برقم: (٣٧٤٨)، وأبو داود برقم: (٤٦٤٩)، والنسائي في السنن الكبرى برقم: (٨١٣٨)، وابن ماجه برقم: (١٣٣)، وأحمد برقم: (١٦٣٧)، وصححه الألباني.
(٥) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٧٦).

خُمّاً بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»، فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ»[(١)]، رواه مسلم.

ولما شكا إليه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن بعض قريش يجفو بني هاشم، قال: «**وَاللهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ، وَلِقَرَابَتِي**»[(٢)]، رواه أحمد.

فمن أهل بيته ﷺ أزواجه الطيبات المطهرات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقد اصطفاهن الله لنبيّه، وجعلهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وسماهن أمهات المؤمنين. وأفضلهن خديجة، وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وبقيَّتهن: سودة بنت زمعة، وحفصة بنت عمر، وأم سلمة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حيي، وزينب بنت جحش، وجويرية، وميمونة، وزينب بنت خزيمة ـ رضي الله عنهن جميعاً ـ.

فالواجب تجاه الصحابة على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم:

أولاً: محبتهم، وموالاتهم، والترضي عنهم، والاستغفار لهم، والثناء عليهم، آحاداً وجماعات، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٤٠٨).
(٢) أخرجه أحمد برقم: (١٧٧٧).

وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، وقال ﷺ: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»[(١)]، رواه البخاري، ومسلم. وقال علي رضي الله عنه: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﷺ إِلَيَّ: «**أَنْ لَا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضَنِي إِلَّا مُنَافِقٌ**»[(٢)]، رواه مسلم.

ثانياً: سلامة القلوب والألسنة لهم: من الغل وسوء الظن، ومن السب واللعن. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]، وقال ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»[(٣)]، متفق عليه.

ثالثاً: الكف عما شجر بين بعضهم، وإحسان الظن بهم، والاعتذار لهم بأنهم مجتهدون؛ إما مصيبون، فلهم أجران، أو مخطئون فلهم أجر واحد، ولهم من السوابق والمناقب، والحسنات العظيمة، ما يوجب مغفرة الذنوب، إن كان قد صدر منهم ذنب.

رابعاً: البراءة من طريقة الروافض، أهل الغلو في أهل البيت، والبغض والسب لعامة الصحابة، ومن طريقة النواصب، أهل الجفاء والأذى لأهل بيت رسول الله ﷺ.



---

(١) أخرجه البخاري برقم: (١٧)، ومسلم برقم: (٧٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٧٨).

(٣) أخرجه البخاري برقم: (٣٦٧٣)، ومسلم برقم: (٢٥٤١).



الأولياء

المؤمنون كلهم أولياء الله، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فولايتهم له بطاعته ومحبته، وولايته لهم بمحبتهم والإحسان إليهم. فمن كان لله تقيّاً كان لله وليّاً، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. ومراتبهم في الولاية بحسب مراتبهم في الإيمان والتقوى، لا بنسبٍ ولا دعوى. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

والكرامة: أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد ولي من أوليائه، كرامةً له، وتصديقاً للنبي الذي اتبعه، **وهي على نوعين**:

أحدهما: في العلوم، والمكاشفات، والفراسة، والإلهامات.

الثاني: في القدرة، والتأثيرات.

والكرامات حاصلة لأولياء الله في الأمم الماضية، ولصدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وباقية فيها إلى يوم القيامة.





أصول جامعة في التأصيل والاستدلال

١ ـ **الأصول الجامعة**: التي تُؤخذ منها العقيدة والشريعة والسلوك ثلاثة: الكتاب، والسُّنَّة الصحيحة، والإجماع المنضبط. ولا يحل أن تعارض برأي، أو قياس، أو ذوق، أو كشف، أو قول أحدٍ كائناً من كان.

٢ ـ **السبيل في فهم الكتاب والسُّنَّة**: سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، والإعراض عن السبل المبتدعة التي أحدثها المتكلمون والصوفية قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

٣ ـ **العقل الصريح السالم من الشبهات**، لا يعارض النقل الصحيح السالم من العلل القادحات. وقد تأتي النصوص بمحارات العقول، لكن يمتنع أن تأتي بمحالات العقول. ومن توهم التعارض فقد أُتي من فساد عقله، ويلزمه حينئذٍ تقديم النقل على العقل.

٤ ـ **البدعة**: هي الإحداث في الدين، قال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**»(١)، متفق عليه. وفي لفظ عند مسلم وعند البخاري معلقاً مجزوماً به: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٢). **وهي أنواع**:

١ ـ **عقدية**: كالتشيع، والخروج، وإنكار القدر، والإرجاء.

٢ ـ **عملية**: كالرهبانية والطرقية.

٣ ـ **أصلية**: كالموالد والأذكار المحدثة.

---

(١) أخرجه البخاري برقم: (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم برقم: (١٧١٨).

٤ ـ **إضافية**: تتطرق إلى العبادة في سببها، أو جنسها، أو قدرها، أو كيفيتها، أو زمانها، أو مكانها.

٥ ـ **مغلظة**: كالشرك بأنواعه.

٦ ـ **مخففة**: كالذكر الجماعي.

٧ ـ **مكفرة**: كنفي الصفات.

٨ ـ **مفسقة**: كالسماع المحرم.



من مكملات العقيدة

١ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[1]. ولا بد من العلم قبله، والرفق معه، والصبر بعده.

٢ ـ الحرص على الوحدة والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣ ـ ١٠٥] وقال: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال صلى الله عليه وسلم: «**المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[2]، متفق عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»[3].

٣ ـ مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال: من الصبر، والكرم،

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (٤٩).

(٢) أخرجه البخاري برقم: (٤٨١)، ومسلم برقم: (٢٥٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

والشجاعة، والحلم، والصفح، والتواضع، وترك أضدادها، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى، والمساكين، وابن السبيل. قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ**»[١]، رواه أبو داود، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أبو داود برقم: (٤٧٩٩)، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).



الدين والطريقة

دين الله واحد، وهو الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وهو دين الله للأولين والآخرين قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]. وهذا هو الإسلام بالمعنى العام؛ الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك.

وأما الإسلام بالمعنى الخاص، فهو: ما بعث الله به نبيّه محمداً ﷺ من الهدى ودين الحق؛ من عقائد صحيحة، وشرائع عادلة، وأعمال صالحة، وأخلاق قويمة، وجعله ناسخاً لما سبقه من الأديان، فلا يقبل ديناً سواه قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١)، رواه مسلم.

وقد سمى الله عباده الذين سبقت لهم منه الحسنى مسلمين؛ فقال: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]. لكن لمَّا جرت سُنَّة الله في خلقه أن يختلفوا ويفترقوا، كما قال نبيِّه ﷺ: «**أَلَا إِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْمِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**»(٢)، رواه

---

(١) أخرجه مسلم برقم: (١٥٣).

(٢) أخرجه الترمذي برقم: (٢٦٤١)، وأبو داود برقم: (٤٥٩٧)، وهذا لفظ أبي داود، وأخرجه ابن ماجه برقم: (٣٩٩٣)، وأحمد برقم: (١٢٢٠٨) عن أنس، وحسنه ابن حجر والألباني. وحديث الافتراق صحيح بشواهده.

أبو داود، والترمذي، وأحمد، صارت هذه الفرقة الناجية هم أهل السُنَّة والجماعة، المُمسِّكون بالكتاب، المتبعون للسُنَّة الخالصة من الشوب والأهواء، والبدع، وهم الطائفة الظاهرة، الذين قال فيهم: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ**»[1]، متفق عليه.

وهم وسط بين طرفين، وعدل بين عوجين، وهدىً بين ضلالتين:

١ ـ بين المشبهة والمعطلة في باب صفات الله.

٢ ـ وبين الجبرية والقدرية في باب أفعال الله.

٣ ـ وبين المرجئة والوعيدية في باب وعيد الله، وأسماء الإيمان والدين.

٤ ـ وبين الخوارج والرافضة في باب أصحاب رسول الله ﷺ.

وهم براء من هذه المذاهب الرديَّة، والطرائق الغويِّة، مغتبطون بمنة الله عليهم أن حبب إليهم الإيمان، وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات: ٨].

وصلى الله وسلم على عبده ونبيّه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه

أ. د. أحمد بن عبد الرحمٰن بن عثمان القاضي

تم الفراغ منه في: ١٤٢٧/٢/١٥

(١) أخرجه البخاري برقم: (٧٣١٢)، ومسلم برقم: (١٠٣٧)، وهذا لفظ مسلم.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة